

مفاهيم القرآن

(454) وإماماً لأنّ تلك الأحاديث فيها الكثير ممّا قاله النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في فضل عليّ - عليه السلام - وعظم شأنه، فلو سوّغت كتابة الأحاديث وأحاط بها الناس علماً وتناقلها المسلمون في شتّى الأقطار، لأدّت إلى ظهور الإمام - عليه السلام - على سائر الصحابة، وكونه الأحقّ في تسنّم منصب الخلافة بعد الرسول وفي ذلك ما فيه من الخطر على من تسنّموا عرشها بغير حقّ وبغير دليل. فلو كان كتابة الحديث وضبطه في الصحائف والجلود أمراً مرغوباً عنه فلماذا أملى النبيّ بنفسه كتباً في الشرائع والأحكام وجهّز بها رسله وعماله في الأقطار المفتوحة. ولو كان نهى النبيّ بمرأى ومسمع من أصحابه وأنصاره، فلماذا استفتى عمر أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في ذلك فأشاروا عليه أن يكتب فطفق عمر يستخير الله شهراً ثمّ أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: إنّني كنت أريد أن أكتب السنن وإنّي ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله وإنّي والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً ولا ألبس كتاب الله بشيء أبداً (1). والعذر الذي جاء به الخليفة في كلامه يشبه ما في كلام بعضهم في تفسير نهى النبيّ عن الكتابة من أنّ نهيه صلّى الله عليه وآله وسلّم عن كتابة الحديث كان لخوفه صلّى الله عليه وآله وسلّم من اختلاط الحديث بالقرآن. ولا يخفى ما فيه من الخبط والخطأ فإنّ ما يفسده أكثر ممّا يصلحه إذ معنى ما ذكره هو إبطال معجزة القرآن وهدم أصولها من القواعد، وإنّ معنى ذلك كون بلاغة القرآن والحديث والخطب المرويّة من باب واحد هو باطل، والله سبحانه يقول: (قُلْ لِّلَّذِينَ اجْتَنَبُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ إِسْرَافٌ وَلَئِنْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَئِنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الْقُرْآنِ لَآ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (الإسراء: 88). وقد حقّق في محله أنّ القرآن وحي بلفظه ومعناه، لا يشبه كلام الإنسان من حيث _____ 1-

رواه الكاتب المتتبع المعاصر أبو ريّس عن الحافظ بن عبد ربه والبيهقي في أضواء على السنّة المحمديّة ص 43.